المادة / النثر الحديث
مدرس المادة / انتصار سلام يوسف
المرحلة / الرابعة

النثر لغة :
يقول صاحب اللسان: النثر نترك الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز واللوز والسكر وكذلك نثر الحب إذا بذر . فالمعنى اللغوي يعني الشيء المبعثر (المتفرق) الذي لا يقوم على أساس في تفرقه وبعثرته، أي: لا يقوم على أساس من حيث الكيف والكم والاتساع.
النثر اصطلاحا:
هو الكلام الذي ليس فيه الوزن ويعتمد على الحقائق والبراهين.
النثر أدب إنساني، وهو على ضربين أما الضرب الأول فهو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب، وليست لهذا الضرب قيمة أدبية إلا ما يجري فيه أحيانا من أمثال وحكم، وأما الضرب الثاني فهو النثر الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة، وهذا الضرب هو الذي يعني النقاد في اللغات المختلفة ببحثه ودرسه و بيان ما مر به من أحداث وأطوار، وما يمتاز به في كل طور من صفات وخصائص، ويشمل الخطابة والمقالة والرسائل والقصص وغيرها، مما يكتب نثراً.

نشأة النثر الفني:
يجد الباحث عنتا كبيرا حينما يحاول تحديد الوقت الذي نشأ فيه النثر الفني في اللغة العربية. إذ إن الباحثين الذين تصدوا لدراسة الأدب الجاهلي قد اضطربوا في تقدير الوجود الأدبي لعرب الجاهلية وبخاصة فيها يتعلق بالنثر ، ولم يستطيعوا على الرغم من جهودهم ودراساتهم أن يصلوا في ذلك الموضوع إلى نتيجة ثابتة أو رأي موحد يمكن الاطمئنان إليه. أما هذه الآثار النثرية المختلفة التي تنسب إلى الجاهليين، فيكاد مؤرخو الأدب يتفقون على عدم صحة شيء منها، والسبب في عدم الثقة بهذه النصوص هو أن وسائل التدوين لم تكن ميسرة في العصر الجاهلي.
الآراء حول نشأة النثر الفني في العصر الجاهلي
يؤكد الدكتور زكي مبارك أنه قد كان للعرب في الجاهلية نثر فني له خصائصه وقيمته الأدبية، وأن الجاهليين لابد وأن يكونوا قد بلغوا في ذلك المضمار شأوا بعيدا لا يقل عما وصل إليه الفرس واليونان في ذلك الوقت، بل أنهم في إنتاجهم الأدبي في النثر لم يكونوا متأثرين تأثراً كبيرا بدولة أخرى مجاورة أو غير مجاورة، وإنما كانت لهم في كثير من الأحيان أصالتهم وذاتيتهم واستقلالهم الأدبي الذي تقتضيه بيئتهم المستقلة، وحياتهم التي كانت أقرب إلى الانعزال. وإذا كانت الظروف المختلفة لم تساعد على بقاء هذا التراث من النثر الجاهلي، فليس معنى ذلك أن نهدره ونحكم بعدم وجوده، وإنما يجب أن نلتمسه في مصادر أخرى. ونحن إن فعلنا هذا فسوف نجد بين أيدينا حجة لا تنكر، ودليلا لا يجحد على أن ثمة نثرا جاهليا، ألا وهو القرآن الكريم. فإذا كنا نؤمن بأن هذا القرآن قد نزل لهداية هؤلاء الجاهليين وإرشادهم وتنظيم حياتهم في نواحيها المختلفة من دينية، وأخلاقية وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، وأنه كان يخاطبهم وهم بطبيعة الحال لا يخاطبون إلا بأسلوب الذي يفهمونه ويتذوقونه، وأنه كان يتحداهم في محاكاته، والإتيان بسورة من مثله ولا يسوغ في العقل أن يكون هذا التحدي إلا لقوم قد بلغوا درجة ما من بلاغة القول، وفصاحة اللسان تجعلهم أهلا لهذا التحدي حتى يصدق معناه، إذا كان هذا كله، وأن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب وعلى لسان واحد منهم (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم تأكد لنا أن العرب الجاهليين قد عرفوا النثر الفني، وأن القرآن يمكن أن يعطينا صورة - ولو تقريبية . عن شكل هذا النثر، ومنهجه، وحالته التي كان عليها ، وكذلك يعتقد الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي بوجود النثر الفني في الجاهلية.
ويرى الدكتور طه حسين بأن النثر الفني بمعنى أنه تعبير جميل رصين محكم يستدعي الرؤية والتفكير والإعداد، لا يتصور أن يكون موجودا في العصر الجاهلي؛ إذ أن هذا اللون من النثر إنما يلائم نوعا من الحياة لم يكن قد تهيأ للعرب إذ ذاك فهذه الحياة الأولية الفطرية السهلة التي كان يحياها العرب قبل الإسلام لم تكن تسمح بقيام هذا اللون من الكتابة الفنية التي تستدعي بطبيعتها الرؤية، والتفكير، ووجود جماعة إنسانية منظمة تسودها أوضاع سياسية واجتماعية معقدة. وهذا النثر المنسوب إلى الجاهليين ليس إلا شيئا منحولا مدسوسا عليهم. حيث إنه على هذا النحو الذي روي به لا يكاد يمثل الحياة الجاهلية تمثيلا كاملا. فهذه الخطب، والوصايا، والسجع، والكلام الذي ينسب لقس بن ساعدة، وأكثم بن صيفي، وغيرهما يكفي أن ننظر إليه نظرة واحدة لنرده بأجمعه إلى العصور الإسلامية التي انتحلت فيها كل هذه الأشياء؛ لنفس الأسباب التي انتحل الشعر من أجلها وأضيف إلى الجاهليين.
ويتحدث شوقي ضيف عن نشأة النثر الفني في الأدب العربي بقوله نحن لا نغلو هذا الغلو الذي جعل بعض المعاصرين يذهب إلى أن العرب عرفوا الكتابة الفنية أو النثر الفني منذ العصر الجاهلي، فما

تحت أيدينا من وثائق ونصوص حسية لا يؤيد ذلك إلا إذا اعتمدنا على الفرض والظن والحق أن ما تحت أيدينا من النصوص الوثيقة يجعلنا نقف في مرحلة وسطى بين الرأيين فلا نتأخر بنشأة الكتابة الفنية عند العرب إلى العصر الجاهلي، بل نضعها في مكانها الصحيح الذي تؤيده المستندات والوثائق، وهو العصر الإسلامي.

النثر في العصر الإسلامي

النثر الفني في عهد النبوة، لم يكد يختلف اختلافا جوهريا عن النثر الجاهلي دخل النثر العربي في طور جديد بظهور الإسلام، بعد أن تعرضت الحياة الأدبية لانقلاب شامل وتطور بعيد المدى. ولم يكن ثمة بد من أن يتأثر الأدب بالحياة الجديدة وأن يكون صدى لأحداثها واتجاهاتها. وكانت مظاهر التطور في النثر أوضح منها في الشعر، لأن الشعر فن تقليدي يترسم فيه الشاعر خطا سابقيه، ويلتزم أصولا محددة، ولذلك يكون أبطأ من النثر استجابة لدواعي التطور.

أما أغراض النثر ومعانيه، فإنها بلا شك قد تغيرت تغيرا محسوسا بظهور الإسلام، وتلوّن النثر في هذا العهد بجميع ألوان الحياة الجديدة فكان خطابة، وكتابة ورسائل وعهودا وقصصا، ومناظرات، وتوقيعات، وكان علي كل حال أدبا مطبوعا. وامتاز النثر في هذا العهد بالإيجاز على سنة الطبيعة العربية الأصيلة.

النثر في العصر الأموي:

يقول الدكتور شوقي ضيف أن الكتابة نمت في العصر الأموي نموا واسعا، فقد عرف العرب فكرة الكتاب وأنه صحف يجمع بعضها إلى بعض في موضوع من الموضوعات، وقد ألفوا فعلا كتبا كثيرة.

وقد كانت لمن يعرف الكتابة مكانة رفيعة عند الناس، إذ كانوا يعرفون له قدرة، وكان سعيد بن العاص يردد دائماً :قوله من لم يكتب فيمينه يسري. ولعل من أهم الأسباب التي هيأت لرقي الكتابة الفنية في هذا العصر تعريب الدواوين في البلاد المختلفة، وتعقد الحياة السياسية، وكثرة الأحزاب والمذاهب.

وقد تجلت بواكير الكتابة في أواخر العصر الأموي بفضل موهبة عبد الحميد بن يحيى الكاتب في القرن الثالث الهجري ولقد أجمع النقاد والمؤرخون في القديم والحديث على أن عبد الحميد إمام طور جديد في الكتابة العربية، وأنه هو الذي وضع الأساس لهذا المنهج الكتابي الذي اقتفاه الكتاب من بعده، وهو أبلغ كتاب الدواوين في العصر الأموي وأشهرهم، وقد ضربت ببلاغته الأمثال وكان عبد الحميد أول من فتق أكمام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر ، وقال ابن النديم عنه أخذ المترسلون ولطريقته لزموا، وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل .

السرد مفهومه ووظائفه

تعريف السرد السرد هو الاخبار عن أحداث واقعية أو متخيلة باستعمال وسائل تعبيرية متعددة (اللغة, الصورة, الحركات الايماء بشكل يجسد تتابعها وواقعيتها أو بعدها التخيلي والسرد حاضر في الأسطورة والخرافة والحكاية والملحمة والتاريخ والمسرح وغيرها من أجناس التعبير وأشكاله .

يعد جيرار جنيت (G.Genette) الناقد السيميائي الوحيد بين الأوائل الذين قاموا بإدخال بعض المصطلحات السردية، حيث جعل منها مرحلة هامة من مراحل التحليل وعالجها ضمن ما أسماه بصيغة السرد: Mode du recit ضمن النموذج التحليلي الذي قدمه في اللغة الفرنسية، وهو النموذج المهم الذي استوعب المقولات السابقة عليه، فقدم تأطيراً منظماً لأسس السرد الفني خلال وقوفه على كلمة "قصة" في اللغات الأوروبية، مستخلصاً ثلاثة معان: أوضحها وأقدمها هو الملفوظ

السردي، مكتوباً أم شفهياً، والثاني المضمون السردي والمعنى الثالث: الحدث، وفي ضوء هذا التمييز حدّد ثلاثة مظاهر للمترد:

1- الحكاية وتطلق على النص السردي أي على الدال.

2 - القصة وتطلق على المفهوم السردي وهو المدلول.

3 - القص (الحكي): ويطلق على العملية المنتجة ذاتها، وبالتالي على مجموعة المواقف المتخيلة المنتجة للنص السردي.

ويمكن حصرهما في مظهرين :

1- المظهر الحكائي وهو ان يحتوي السرد على قصة تضم أحداث معينة.

2- المظهر الخطابي وهو الطريقة التي تحكى بها الأحداث أو تنقل بوساطتها.

والسرد، في معناه البسيط، كما جاء في لسان العرب، مفاهيم مختلفة، تنطلق من أصله اللغوي الذي يعني - مثلاً - التتابع في الحديث، يقال سرد الحديث ونحوه، يسرده سرداً، إذا تابعه وفلان يسرد الحديث سرداً، إذا كان جيد السياق له . ويقابل السرد في المنجز النقدي الغربي، كلمة narratology التي جذرها narrate بمعنى ،سرد، وقص، وروى، لكن مصطلح narrative وهو صفة يُترجم إلى المروي، أو المحكي، وعندما نطلب من الجدة، أن تسرد لنا حكاية، فإنها تستخدم مهاراتها في القص، وبناء على ذلك، تسرد لنا الحكاية، من مبدئها إلى منتهاها، تشوقنا تارة، وتخبرنا بحوار الشخصيات تارة أخرى، وعن المكان الذي توجد به هذه الشخصيات، وما إلى ذلك .. كل ذلك تسرده الجدة .. وبالتالي يختلف السرد، من جدة إلى أخرى، إلا أن مصطلح السرد الحديث نحا مناحي كونية شاملة، فالأمر تعلق بمفهوم مغاير تماماً للمفهوم السردي القديم المتواضع، فالسرد، كمصطلح نقدي حديث هو كما يقول د. عز الدين إسماعيل، في كتابه "الأدب وفنونه"، إنه نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورتها اللغوية . ويعد مصطلح السردية (Narratology) مصطلحاً حديثاً نسبياً، دخل دائرة الاستخدام في فرنسا تحت تأثير البنيوية، حيث يُشير إلى الدراسة النظرية وتحليل السرد (1).

بدأ المفهوم الشامل للسرد، انطلاقا من المنهج الشكلاني. وقد جعل البعض مصطلح السرد عبارة عن خطاب غير منجز، أو قص أدبي يقوم به السارد، في حين ارتبط هذا المصطلح بالسردية؛ التي تعني الطريقة التي تروى بها الرواية، ومن خلالها جعلت الرواية أدبا سرديا. وعلم السرد" قديم النشأة منذ عام 1918 علي يد إي خنباوم، إلا أنه لم يظهر كمصطلح إلا سنة 1969 علي يد تودوروف". ويعتبر السرد مكونا محايثا للنص الرواني، إذ هو الذي ينظم أحداثه وشخصياته وبالتالي فضاءاته وأزمنته ومن ثم انتسابه إلى الخطاب أو المبنى؛ بما هو صياغة فنية، وفق قواعد القص وأشكاله المتباينة، للحكاية أو للمتن الذي يحوز المادة السردية في

1- ينظر خطاب الحكاية ، جيرار جينيت ، وفي نظرية الرواية ، عبد الملك مرتاض ، وبنية النص السردي ، حميد الحميداني ، وغيرها صيغتها الوقائعية الخام. ومنه ينطلق السرد الروائي من الحكاية، ليعيد تشكيلها عبر منطق داخلي، يتفرد بوظائفه ومكوناته وأزمنته، وبالتالي فإنه يخضع لقواعد الكتابة".

وبذلك يصبح السرد؛ طريقة كلامية لسانية، يمكن لها أن تتجسد في شكل عمل أدبي. وبه تتوسع جغرافية السرد لتشمل كل الأخبار والتراجم والروايات وغيرها من الأجناس الأدبية ومختلف الخطابات، حيث يمثل السرد الجزء الأساسي في الخطاب الذي يعرض فيه المتكلم الأحداث القابلة للبرهنة والمثيرة للجدل.

" إن هذا السرد، كان يتم تصوره فقط من منظور البرهان، فهو العرض المقنع لشيء حدث، أو يزعم انه قد حدث؛ أي أن القصة عنده ليست حكاية تحكى فقط، وإنما هي خطوة برهانيه، وهي لذلك عارية ووظيفية ومحضة ". كما ذهب جيرار" "جنيت" في خطابه (1972)، إلى التميز في السرد بين الحكي؛ والذي يقصد به ترتيب الأحداث فعلياً في النص، وبين القصة؛ التي تعني التتالي الذي وقعت فيه الأحداث فعلياً، والتسريد الذي يهتم بفعل السرد. إذ تصبح الغاية من السرد، لا تتعلق بمجرد عرض الموضوع، وإنما بالإقناع العاطفي وإشعار القارئ بما يريد أن يشعر به.

وللسرد مستويان برد بهما

1- السرد الابتدائي

ويتمثل هذا في العمل الأول للمؤلف؛ أي عندما يكتب الروائي رواية ما، فيعتبر عمله هذا سرداً ابتدائياً، أو

سرداً من الدرجة الأولى.

2- السرد من الدرجة الثانية:

حيث يحكي القاص حكاية داخل الحكاية؛ حين تكون هناك شخصيتان سارد و مستقبل داخل الرواية، فيقوم السارد منهما، بسرد قصة عن شخصية ثالثة خارجة عن إطار القصة الأساسية، فتعتبر هذه القصة، بمثابة سرد ثانوي من الدرجة الثانية.

أنماط السرد

يمكن التميز بين ثلاثة أنواع من السرد وفق الترتيب الزمني له:

أ- الزمن التصاعدي : هو الحكي الدي يحترم تسلسل الأحداث حيث يتجه زمن القصة من البداية الى النهاية

ب الزمن التنازلي حيث يبدأ زمن القصة من النهاية ثم يعود الى البداية كما هو الامر بالنسبة للقصص البوليسية التي يبتدئ فيها السارد بجريمة قتل ثم يعود الى ذكر الأسباب

ج- الزمن المتقطع: وهنا يعرف زمن القصة تقطعا في تسلسل الأحداث ، ويسمى (السرد المتشظي)

الأسلوب - أساليب السرد:

وهناك ثلاث طرائق للسرد الطريقة المباشرة التي يكون فيها الكاتب مؤرخا يسرد من الخارج، وطريقة السرد الذاتي التي يكتب فيها الكاتب على لسان المتكلم متلبسا لشخص أحد الأبطال، وطريقة الوثائق التي تتحقق فيها القصة عن طريق الرسائل أو اليوميات والحكايات وما الى ذلك.

إن الحديث عن القصة أو الدراسة القصصية، يتطلب من الباحث التعريج على الأسلوب ضرورة، لأن هذا الأخير، هو الذي يعرف الكاتب ويميز بين عمله وعمل الآخر، ومن خلاله نستطيع أن نحكم على جمالية الأعمال ودقتها. فالأسلوب إذن هو مبدأ الاختيار ضمن إمكانات اللغة والألفاظ والتراكيب النحوية، التي تصل

أحيانا إلى درجة من الدقة "(1).

القصة والخطاب Recit et discours

من أهم الإنجازات التي قدمها الشكلانيون الروس للنظرية البنيوية في ميدان السرد هو التمييز الذي أقاموه بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي، والذي حدده توماشفسكي في أن المتن الحكائي هو مجموعة الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي يقع إخبارنا بها من خلال النص.

أما المبنى الحكائي فهو الطريقة والنظام الذي تقدم به هذه الأحداث في العمل مع ما يتبعها من معلومات وإشارات بعينها وهذا التمييز - الذي تمت استعادته من تودوروف، وجينيت بتنويعات -

تبين مدى الأهمية التي تكتسبها التحديدات المنهجية للخطاب السردي. بالإضافة على هذا فإن جينيت يستفيد من اقتراحات اللساني البنيوي إميل بنفنيست (E.Benveneste)، الذي يعد من أبرز الذين أسسوا لمصطلح الخطاب.
وتتمثل هذه الأهمية في التمييز الذي أقامه بين السرد أو الحكاية والخطاب، وهذا في سياق التمييز الذي
أقامه بين أزمنة الفعل في اللغة الفرنسية، حيث فرق بين مستويين هما زمن الحكاية (Histoire) وزمن
الخطاب (Discours). وعرف الخطاب على أنه ملفوظ موجه من مرسل إلى متلق يسعى فيه المرسل للتأثير
في المتلقي بشكل من الأشكال.
ويحدد بنفنيست تمييزه لأزمنة الأفعال، مع ظروف الزمان إلى فنتين إحداهما يتمثلها الخطاب، والأخرى تختص بالقصة؛ حيث جعل الضمائر (أنا وأنت) ، وظروف الزمان مثل اليوم البارحة، الآن، غدا، والصيغة الزمنية لأفعال الحاضر والمستقبل، مخصصة للخطاب.
أما بالنسبة للقصة فإنها تختص بالضمير "هو" ، وفي المستوى الزمني تختص القصة بالماضي المطلق (Aoriste). ومهما كانت التنويعات الممكنة والحاصلة، فإن النتيجة التي نصل إليها هي أن الصيغ اللسانية تجعل القصة تتسم بالموضوعية، على عكس ذاتية الخطاب.
ومستوى آخر يميز القصة عن الخطاب نستنتجه من الطرح السابق؛ هو أن الخطاب بحكم طابعه الخصوصي، بإمكانه أن يتضمن المقاطع السردية؛ على عكس السرد الذي يتميز بخصوصية القص، فالقصة لا تعتمد صيغة الزمن الحاضر وضمير المتكلم .
الحكي أو القص
يقوم الحكي عامة على دعامتين أساسيتين :
أولاهما : أن يحتوي على قصة ما ، تضم أحداثا معينة .
ثانيتهما : أن يعين الطريقة التي تحكى بها تلك القصة . وتسمى هذه الطريقة سردا.
إن كون الحكي هو بالضرورة قصة محكية يفترض وجود شخص يحكي ، وشخص يحكى له ، أي وجود تواصل بين طرف أول يدعى راويا) أو ساردا ، وطرف ثان (مرويا له) أو قارنا .
وبذلك نجد أن الرواية أو القصة باعتبارها محكيا أو مرويا تمر عبر القناة التالية (الراوي القصة أو المروي .
المروي (له وإن السرد) هو الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثرات بعضها، متعلق بالراوي والمروي ،له والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها، والقصة لا ينظر على مثال: تحليل الخطاب الرواني ، سعيد يقطين تحدد فقط بمضمونها ، ولكن أيضا بالشكل أو الطريقة التي يقدم لها المضمون، وهذا معنى قول آيزر (إن الرواية لا تكون مميزة فقط بمادتها ولكن أيضا بوساطة هذه الخاصية الأساسية المتمثلة في أن يكون لها شكل القصة القصيرة.
السرد الموضوعي والسرد الذاتي:
اصطلح على تسمية أسلوب السرد المعتمد على الرؤية الخارجية بـ (السرد الموضوعي باستخدام ضمير الغائب، وعلى الأسلوب السردي الذي يعتمد الرؤية الداخلية والراوي المشارك بـ (السرد الذاتي) ويستخدم الراوي هنا ضمير المتكلم وهما أسلوبان رئيسان في السرد الروائي. وقد تتضافر

الرؤيتان الخارجية والداخلية في تقديم مادة الرواية، فتكون الرواية ثنائية تتداخل فيها الرؤيتان أو تتكاملان، فيدعى السرد حينذاك بالسرد المشترك أو المختلط).

مصطلح ومفهوم التبنير في النقد السردي (Focalisation).

في مفهوم مصطلح "التبنير" = "الرؤية السردية " = "وجهة النظر" =" زاوية الرؤية " = "الجهة" ="المنظور".

التبنير لغة:

جاء في لسان العرب بأزتُ أَبْأَرُ بَأْرًا حفرت بؤرة يطبخ فيها والبؤرة موقد النار ومنه البئر مكان تجتمع فيه المياه. وكلها معاني تدل على الجمع والحصر.

التبنير اصطلاحا:

هو تقليص حقل الرؤية عند الراوي وحصر معلوماته وسمى هذا الحصر بالتبنير لأن السرد يجري فيه من خلال بؤرة تحدد إطار الرؤية وتحصره والتبئير سمة أساسية من سمات المنظور السردي أي من يرى واستعمل مصطلح البؤرة أو التبنير في اللسانيات التداولية قبل أن ينتقل إلى ميدان الرواية والنقد الروائي وهو ترجمة عربية اقترحها أول مرة أحمد المتوكل ثم شاعت بين النقاد العرب فيما بعد والتبنير أو بؤرة السرد هو مصطلح اقترحه كل من الناقدين كلينيث بروكس وروبيرت وارين بدلا من مصطلحي "رؤية" و"وجهة نظر"

ومنهما استمد هذا المفهوم الإجرائي لتحليل البنية السردية.

مصطلح التبنير في المدونة النقدية الغربية:

لقد مرت الدراسات حول (الرؤية بمرحلتين بدأت الأولى مع النقد الأنجلو - أمريكي في بدايات القرن العشرين، واستمرت حتى أواخر الستينيات. وخلالها احتلت (الرؤية) مركز الصدارة في تحليل الخطاب الروائي. وبدأت المرحلة الثانية في مطلع السبعينيات مع التطور الذي توج بظهور السرديات.....

وقد صنفت (الرؤية- التبنير) في ثلاثة أنواع، وهي:

1 - الرؤية الخارجية، وتتمثل في الروايات المكتوبة بصيغة الغائب.

2 - الرؤية الداخلية، وتتمثل في الروايات المكتوبة بضمير المتكلم والسيرة الذاتية.